أثر القرصنة في أمن المتوسط الليبي خلال العصور الوسطى

د. مريم محمد عبدالله جبودة(*)

قسم التاريخ كلية الآداب

جامعة الزاوية

مقدمة :

عدت القرصنة من أهم العوامل التي أثرت على النشاط البحري في حوض البحر المتوسط خلال فترة العصور الوسطى ،وقد انعكس هذا التأثير على العلاقات السياسية والاقتصادية بين مختلف القوى القاطنة على ضفتي المتوسط ،وبالتالي إلى زعزعة الأمن والاستقرار في المنطقة لما كان لعمليات القرصنة من آثار سيئة على حرية الانتقال والتجارة ، بسبب أعمال الرعب والإرهاب . وفي هذا الصدد يقول دي ماس لاتري:" لقد كان من النادر جدا

(*) Email: fatahfr20016@gmail.com

في العصور الوسطى أن تعيش الشعوب في سلام تام مع الشعوب الأخرى ،فقانون الحرب كان يسود هذه المدن والممالك – حيث يوجد – بجانب المسيحيين من عامة الشعب، من يمتلكون السفن ولديهم القدرة على إنشاء وبناء السفن الحربية وإعلان العداء على كل من فعلوا أفعالا سيئة من القراصنة"[1].

ويبدو أن أعمال القراصنة، واعتراض سبيل المسافرين والتجار، وسفن التجارة في العصور الإسلامية، إنما كانت نتيجة حتمية للحروب الصليبية ،فعندما عجز المسيحيون عن استرداد الأجزاء التي افتتحها المسلمون على حسابهم في الماضي – على رغم المحاولات التي قاموا بها في شكل (حروب صليبية)– تحولت هجماتهم إلى أعمال قرصنة، التي هي حرب تعتمد على الغارات السريعة وإحداث أكبر قدر ممكن من الأضرار على السواحل الإسلامية، ثم العودة من دون الدخول في اشتباكات عسكرية . وبالنسبة للساحل الليبي في فترة العصور الوسطى، وعلى الرغم من ندرة المعلومات الواردة في المصادر الإسلامية والوثائق الأجنبية، والتي تخص موضوع القرصنة على الساحل المتوسطي الليبي ،باعتبار أن تركيزها كان على عواصم الدول الإسلامية، والتي كانت المدن الليبية تابعة لها، وجزءاً لا يتجزأ منها . إلا أن الأهمية الجغرافية التي حظيت بها موانئ ومراسي المدن الساحلية الليبية ومنذ وقت مبكر جعلها تقوم بدور تجاري خطير في التجارة العالمية طيلة فترة العصور الوسطى .

وقد وجدت إشارات عديدة متفرقة في صفحات الكتب والوثائق ، تؤكد حدوث عمليات سلب ونهب وتحرشات للقراصنة الأوربيين على الساحل الليبي ،وخاصة مع النمو الملحوظ للنشاط البحري للمدن الإيطالية على الضفة المقابلة على ساحل المتوسط ،وازدادت القرصنة مع حدوث مستجدات على الساحة الدولية وبروز قوى جديدة – بالإضافة إلى القوى القديمة – أخذت

فـي مناوئـة الوجـود الإسـلامي ومنافسـته، وأهمهـا قشـتالة وأراغـون ، ونتيجـة لـذلك قامـت القـوى الإسلامية بردود فعل ضد طغيان الأوربيين عليهم خلال فترات طويلة.

إلا أننـا نتسـاءل هـل اتخـذت القرصـنة الإسـلامية صـفة الجهـاد ضـد النصـارى ؟ وهـل السلطة الإسلامية في الشمال الإفريقي بصفة عامة قامت بتوظيف استراتيجي للقرصنة كعامل من عوامل إثبات الوجود الإسلامي ؟. وهل عرقلت القرصنة من قبل الجانبين المسيحي والمسلم عمليات التبادل التجاري؟ ، وأدت إلى فقدان الأمن في البحر المتوسط ؟ أم أن المصالح التجارية قد ثبتت أمام الطموحات السياسية ومشكلات القرصنة ، وتغلبت بالتالي على التوتر وربما العداء الذي سببته أعمال القراصنة؟ كل هذا سوف نحاول الإجابة عنه ضمن ورقات البحث.

مفهوم القرصنة:

القرصـنة لغـة: لفظـة معربـة عـن اللاتينيـة التـي نقلتهـا عـن اليونانيـة ومعناهـا فـي أصـلها المنقولة عنه : لصوصية البحر وفاعل القرصنة : قرصان وهو سارق البحر وجمعه قراصنة[2]، ووردت القرصنة بمعنى السباق في اللغة الإيطالية، ومنها اشتقت كلمة قرصان corsaro وهو الذي يقوم بفعل التسابق البحري أي الهجوم والاعتداء على السفن أو سواحل الدول الأخرى[3]. وقد يضعنا هذا المفهوم أمام إشكالية واضحة ، وهي تحديد الفرق بين مختلف النشاطات البحرية مـن القرصـنة واللصوصـية وحـق الملاحقـة والغـزو والجهـاد البحـري ؟، خاصـة وإن المصـادر الإسـلامية جـاءت بمفهـوم مختلـف ، فقد أورد كـل مـن ابـن خلـدون والغبرينـي علـى سـبيل المثـال تعبير (غزاة البحر)[4] .

حيث أن لفظة القرصنة لم تدخل إلى اللغة العربية بشكل رسمي إلا حديثا، على الرغم من العثور على هذه اللفظة في المراسلات المتبادلة بين سلاطين بني حفص وملوك أرغونة، مما يدل أن لفظة قرصنة متداولة ومعروفة منذ القرن الثامن الهجري.

ويرى البعض أن القرصنة بمعناها الدقيق قد لا تعني في بعض الأحيان اللصوصية والنهب والسرقة في كل الحالات ، وإن كانت هذه السمة الظاهرة في الغالب؛ فقد تكون القرصنة أحيانا تشكيل من مساعدي البحرية النظامية يعملون بأمر رسمي من الدولة، وهذا ما يفرق بينهم وبين اللصوص الذين يعملون خارج هذا الإطار، أي الذي يقوم به مجموعة من اللصوص لحسابهم الخاص بعيدا عن سلطان الدولة . وقد تكون القرصنة من طرف بحارة خواص يعملون بموافقة الدولة ؛ أما اللصوصية فقد أطلق عليها في اللغات الأجنبية لفظ " Platerle"، ويطلق على ممارسيها اسم لصوص البحر أو قطاع الطرق، ويقوم عادة بهذا النوع من النشاط البحري مجموعات من اللصوص لحسابهم الخاص لا يفرقون بين سفن الصديق أو العدو[5].

أما الجهاد البحري فمن المفترض أن يكون هدفه الأساسي هو الدفاع عن الإسلام والسعي إلى نشره ، حيث أن السلطات الإسلامية قامت في بعض الأحيان بتوظيف القرصنة باسم شرعية الجهاد، ولإثبات وجودها والحفاظ على توازن قواتها مع القوى الأوروبية في البحر المتوسط، ويرى الدكتور سعيد عاشور أن المسلمين في ذلك الدور لم يفرقوا بين القرصنة والجهاد الديني ، فكان العدوان على شواطئ البلاد المسيحية وقطع الطرق على السفن الأوروبية ونهبها يجد تبريرا كافيا في فكرة الجهاد الديني ضد أناس لا يدينون بالإسلام[6]. وعلى الرغم من أن القرصنة قد ظهرت في سواحل إفريقية منذ وقت مبكر إلا أن هذا النشاط البحري لم يتخذ لدى المسلمين شكل مؤسسة حقيقية، وبقي دورها محتشما حتى نهاية العصر الحفصي، فاصطبغت غالبا بطابع ديني في شكل جهاد أكثر منه نشاط اقتصادي .

ومهما يكن من أمر فإنه وعلى الرغم من ثبات الفرق الواضح بين مختلف النشاطات البحرية من قرصنة ولصوصية وغزو بحري وجهاد بحري ،فإنه من الصعب على الإطلاق التفريق بينها على أرض الواقع . وذلك بسبب الظروف العامة التي تحكمت في سير العلاقات

بين مختلف القوى القاطنة على ضفتي البحر المتوسط شمالا وجنوبا ، من أزمات ونزاعات، فتعددت تلك الهجمات البحرية وتشابكت أسبابها فأصبح من الصعب التمييز بين غارات القراصنة وغارات اللصوص ، ومن ردود الفعل الإسلامية تحت مسمى الجهاد وغيرها من الغارات الأخرى .

وبالنسبة للمجال المتوسطي لشواطئ شمال إفريقية كانت ومنذ القدم مركزا للقرصنة ومأوى للقراصنة بعد الانتشار الفينيقي واليوناني وتوسع نشاطهم التجاري، واستمرت تلك الظاهرة ان لم تكن بشكل أقوى وأعنف في فترة العصور الوسطى، وأصبح سلب الشواطئ المقابلة حسنة من الحسنات، فقد دفع العداء الديني والنفسي وتبادل النصر والهزيمة بين المعسكرين الإسلامي والمسيحي على السواء إلى اعتراض سبيل الآخر وإنزال الضرر به، حتى عدّ البعض القرصنة وليدة الحروب الصليبية[7]. وأحيانا تكون القوات التي تقوم بعمليات القرصنة قوات غير نظامية، أي قوات مساعدة لها، أو ربما قوات خاصة مهمتها ملاحقة سفن العدو التجارية وضربها ، بهدف السلب والنهب من دون الاعتماد على القوات البحرية النظامية ، فالقرصنة قد تكون أحيانا نوعاً من الحرب غير المعلنة.

الإطار الجغرافي للقرصنة على الساحل الليبي:

احتلت برقة وطرابلس على ساحل البحر المتوسط موقعا استراتيجيا مهماً كان له الدور الكبير في ازدهارها وفي سهولة الاتصال بين المناطق بفضل موانئها التي تعد المنفذ البحري المميز والحيوي الذي يربطها بالعالم المتوسطي فكانت تقصدها السفن والأساطيل التجارية للتزود منها بالبضائع والسلع المختلفة، فمدينة طرابلس استمدت أهمية موقعها من مينائها الجيد الذي يعد من الموانئ المهمة على ساحل البحر المتوسط، بسبب سهولة الوصول إليه، حيث أن بعضه محاط بصخور طبيعية ، وهي في شكل نصف دائرة من الشرق إلى الغرب بعضها في

مستوى سطح البحر، وبعضها تحت البحر، فالصخور التي تشاهد في جوف البحر على عمق سبعة أو ثمانية أمتار ، يمكن بمصاريف قليلة وخلال مدة يسيرة ، وهذا قد جعل الميناء منافسا لأروع موانئ البحر المتوسط[8].

وقد أشار الرحالة والجغرافيون إلى الأهمية البحرية لمدينة طرابلس، فيقول ابن حوقل[9] في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي واصفا ميناء طرابلس : " تحط به المراكب ليلا ونهارا، وترد التجارة على مر الأوقات والساعات ، صباحا ومساءا من بلد الروم ، وأرض المغرب بضروب الأمتعة والمطاعم "وقال أيضا " وكثرة الغرباء في كل الأوقات ما لا ينقطع طلابا لما فيها من التجار، عابرين عليها مغربين ومشرقين".

وذكر صاحب الاستبصار[10] مدينة طرابلس بقوله :" مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر ، وبها أسواق حافلة وحمامات كثيرة وبساتين في شرقها وهي كثيرة الفواكه جمة الخيرات ، وأكثر أهلها تجار يسافرون برا بحرا"، وأشاد بميناء مدينة طرابلس ياقوت الحموي[11] فقال :" اطرابلس على شاطئ البحر بها أسواق حافلة ... ومرساها مأمون ... وهي كثيرة الثمار والخيرات".

وأما مدينة برقة فقد كان لها نشاط بحري ومن أهم موانئها ميناء برنيق، حيث كان له أهمية بحرية وتجارية يقع على مرحلتين وتلجأ إليه المراكب ، لأنه يتمتع بحماية لا تقارن ، ذكر اليعقوبي[12] قائلا : " ... ميناء عجيب في الإتقان والجودة تحوز إليه المراكب "..وطلميثة من مدن برقة بها ميناء عامر بالناس والمراكب ، وأشار البكري في وصفه لمدينة اجدابيا فقال: "ذات ميناء صالح لرسو السفن ، وبها مرسى على البحر يعرف بالماجور"[13].

ولابد أن يشكل هذا الإطار الجغرافي المهم لمدن الساحل الليبي قاعدة مهمة في مجال انطلاق النشاط البحري، مع المناطق المجاورة ، حيث كان الروم قبل مرحلة الفتوحات الإسلامية

يسيطرون على حوض البحر المتوسط ، ويسمى هذا البحر بالبحر الرومي فيه جزر عامرة مثل صقلية وكريت وكورسيكا، وقد تمتعت الإمبراطورية البيزنطية التي ورثت ممتلكات الإمبراطورية الرومانية بسواحل البحر المتوسط، وكان لهم من الأساطيل والخبرة البحرية الواسعة ما يكفي للقيام بأعمال ونشاطات بحرية وتجارية لربط ضفتي البحر المتوسط الشمالية والجنوبية.

الإطار السياسي والتجاري للقرصنة :

مع مجيء المد الإسلامي للشمال الأفريقي في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي حدثت نقطة تحول كبيرة في التاريخ المتوسطي بشكل عام في النواحي الاقتصادية والسياسية والحضارية ، حيث تراجعت القوى البيزنطية نحو الساحل الشمالي للمتوسط . الأمر الذي خلق تنافسا شديدا ونزاعات متعددة على ضفاف ذلك البحر، نشطت معه بالتأكيد ما يعرف بحركة القرصنة التي يرى بعض الباحثين[14]، أنها نتيجة حتمية لذلك التنافس والصراع بين الضفتين، ولا شك أن الروم كانت لهم من الخبرة البحرية والملاحية فضلا عن امتلاك السفن والأساطيل ما مكنهم من تهديد شواطئ الدولة العربية الإسلامية في هذا الدور، وبدأت بشن غارات متتالية يمكننا أن نطلق عليها قرصنة السواحل، والتي هي إحدى الأشكال المشتقة من الحرب التقليدية التي ظلت قائمة بين العرب المسلمين وبين المسيحيين منذ توقف موجة الفتوحات الإسلامية، وقد كان غرض المسيحيين منها محاولة استرداد الأجزاء التي فتحها المسلمون في الماضي وحينما عجز المسيحيون عن تحقيق مآربهم على الرغم من الحروب الصليبية، تحولت هجماتهم إلى أعمال قرصنة والتي اعتمدت الغارات السريعة وإحداث أكبر قدر من الأضرار على السواحل الإسلامية ، وقد شعر المسلمون على ساحل المتوسط في بلاد إفريقية بالمغرب بخطورة هذه الغارات ، فأقاموا منذ وقت مبكر على طول الشريط الساحلي عددا من الحصون التي عرفت "بالرباط"لاستطلاع غارات العدو قبل وصولها ومحاولة التصدي لها[15].

وانتشرت الأربطة والمحارس على طول الساحل الليبي لنقل الأخبار والإنذار عن أي خبر، وقد أشار المراكشي[16] إلى انه " كان بين الإسكندرية وطرابلس المغرب . حصون متقاربة جدا فإذا ظهر في البحر عدو نور كل حصن للحصن الذي يليه، واتصل التنوير فينتهي خبر العدو من طرابلس إلى الاسكندرية أو من الاسكندرية إلى طرابلس في ثلاث ساعات أو أربع ساعات من الليل، فيأخذ الناس أهبتهم ويحذرون عدوهم " وظلت الأساطيل البيزنطية تهدد بخطرها وبشكل مستمر موانئ البحر المتوسط، فتعرض التجار إلى السلب والنهب واختطاف السفن في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي [17]. وعند مجيء الأغالبة للحكم في بلاد إفريقية (148هـ / 800م) كان له الأثر الطيب في السيطرة على موانئ المتوسط ، وقلل من تلك الأخطار فشهدت التجارة طوال هذه الفترة انتعاشا، وليس هذا فحسب بل أسهمت دولة الأغالبة في القرن الثالث الهجري في تأمين الطرق البحرية، بعد نجاحهم في السيطرة على عدة مراكز بحرية في قلب البحر المتوسط مثل جزيرة كريت ، وجزيرة صقلية التي نجح الاغالبة في السيطرة عليها عام 902م بالإضافة إلى استيلاء المسلمين في شمال إفريقية على بعض الجزر الصغيرة التي كان الروم يتخذونها قواعد لقطع الطرق على المسلمين بين شمال إفريقية وصقلية، مثل جزيرة قوصرة التي سيطر عليها الأغالبة عام 835م . ويعبر المؤرخ ابن الأثير عن تلك الفتوحات البحرية بأنها " فتحا عظيما"[18].

وتحول الروم في البحر المتوسط من الهجوم إلى الدفاع، وتحول المسلمون من الدفاع إلى الهجوم، ويرى المستشرق موريس لمبار أن البيزنطيين في هذه الفترة قد أثروا سلبا على العلاقات المتوسطية لأنهم لم يتمكنوا من إيقاف أوربا المسيحية. أما المسلمون فشكلوا في جل أنحاء البحر المتوسط قوة اقتصادية مهمة استفادت منها أوروبا[19].

ويبدو أن العلاقة العدائية بين المسلمين والمسيحيين قد حتمت ومنذ فترة مبكرة ارتكاب بعض الخروقات التي يمكن أن ندخلها تحت بند الغزو البحري أو القرصنة إن أردنا، فقد اهتم المسلمون الفاتحون بتكوين أسطول بحري، الذي تم انشاؤه بين صناعة السفن والمراكب وبين اغتنام المراكب من الروم ، فعند وصول عبدالله بن سعد بن أبي السرح إلى طرابلس أخذ يوصي أصحابه ويحذرهم من الروم . ويروى أنه قد أرست مراكب فشدوا عليهم ، ووصلت السفن البيزنطية فأسروا من بها وقتلهم ابن أبي السرح ، وأخذ ما في السفن من سلاح وعتاد ، وكانت هذه أول غنيمة للمسلمين [20]. كما ذكر العياشي أن في طرابلس مراكب قل نظيرها معدة للجهاد في البحر قلما ترجع من غير غنيمة ، وقلما أسرت لهم سفينة لا من سفن التجارة ولا من سفن الجهاد [21].

وأصبح للمسلمين في القرنين الثالث والرابع الهجريين /التاسع والعاشر الميلاديين ، الغلبة على غيرهم من القوى البحرية في هذا القسم الغربي من حوض البحر المتوسط ، ويشير ابن خلدون إلى ذلك بقوله :" وكان المسلمون لعهد الدولة الإسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع جوانبه ، وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه ، فلم يكن للأمم النصرانية قبل بأساطيلهم ... وامتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم، فكانت لهم المقامات المعلومة من الفتح والغنائم ...والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على كثير من لجة البحر. وسارت أساطيلهم فيه جائية وذاهبة، والعساكر الإسلامية تجيز البحر في الأساطيل من صقلية إلى البر الكبير المقابل لها من العدوة الشمالية، فتوقع بملوك الإفرنج وتثخن في ممالكهم وانحازت بأساطيلهم إلى الجانب الشمالي ،من سواحل الفرنجة والصقالبة وجزائر الرومانية لا يعدونها، وأساطيل المسلمين قد ضربت عليهم ضراء الأسد على فريسته، وقد ملأت الأكثر من بسيط هذا البحر عدة وعددا ،واختلفوا في طرقه سلما وحربا ، فلم تسبح للنصرانية فيه ألواح"[22] .

وكنتيجة لاهتمام الفاطميين بطرق الملاحة البحرية ، فقد ظهر من الطرابلسيين بحريون مهرة شغلوا مناصب كبيرة في البحرية الفاطمية أو امتلكوا سفن الشحن الكبيرة ، حتى كان بعضهم ينافس كبار القواد في المهدية نفسها ، ويستطيع الاتصال بالخليفة المعز لدين الله الفاطمي مباشرة ، كما حفظ لنا جوذر نصي توقيع للخليفة المعز بشأن شكوى متولي البحرية بالمهدية ، من أحد أرباب البحر والمراكب الطرابلسيين وهو ابن وسيم الإطرابلسي، الذي اتهمه لدى المعز بالخيانة في شعير ، كانت الأوامر قد صدرت بحمله إلى صقلية في مراكب بعض التجار معونة للغزاة .

وفي أواخر عهد المعز بإفريقية أصبحت طرابلس قاعدة لأسطول صقلية، فقد عين المعز نصير الخزان الذي كان يستخلفه في المهدية واليا لها فكانت المراكب تأتيه مع بني الحسن ولاة صقلية بأموال الجزيرة ، وغنائم الروم هناك[23]. ومثل تلك المؤشرات عن النشاط البحري الليبي قد تكون دلالة واضحة، على حدوث بعض أعمال الغزو البحري والنهب المصاحب لها في بعض الأحيان .

ومما زاد من حدة التوتر الملحوظ في مسألة العداء بين المسلمين والمسيحيين في ساحل شمال إفريقية ، هو النمو الملحوظ للمدن التجارية الإيطالية ، وخاصة المدن الثلاث الكبرى (جنوة وبيزا والبندقية) . بالإضافة إلى انتقال الفاطميين إلى مصر وإنابة بني زيري الصنهاجيين على إفريقية، ومن الواضح أن الفاطميين قد أخذوا معهم اسطولهم إلى المشرق، فلم يبق لبني زيري في شمال إفريقية أسطول كبير يصل إلى قوة الأسطول الفاطمي او الأغلبي[24]. فلم يستطع الصمود أمام هجوم القوى الإيطالية التي استطاعت تحطيم فرقة بحرية على مقربة من المهدية، وأن ينزل بعض قواته وينهب صفاقس ويغزو طرابلس، وحصولهم على الغنائم شجعتهم على القيام بغارات أخرى، وعلى ما يبدو ان تحركات المدن الإيطالية كانت في البداية لأسباب

دفاعية، ثم سرعان ما اكتشفوا أن ثمة مغانم يمكن الحصول عليها فأصبحوا يحترفون نهب تجارة المسلمين والمدن الساحلية [25]. وصارت تلك الغارات أمرا مستساغا للحصول على المزيد من الغنائم ، وكانت أقرب إلى القرصنة منها إلى أي شيء آخر.

ولم يقف بنو زيري مكتوفي الأيدي إثر الضغوط التي تعرضوا لها على الساحل التونسي والليبي والتي تمثلت في الاعتداءات البحرية المسيحية من قبل الجمهوريات الإيطالية ، بالإضافة إلى تهديد الزناتيون من بني خزرون، وتحديدا تهديد خليفة بن وروا الزناتي المسيطر على طرابلس، لمدن إفريقية الساحلية وإخراجه المراكب ،زد على ذلك الضغط الذي مارسته قبائل بني سليم وبني هلال وخاصة على المدن الداخلية ، أدى كل ذلك إلى عناية الصنهاجيين بشئون البحر ،فأسس تميم بن المعز أسطولا ضخما بدار الصناعة بالمهدية ،وقام هو وابنه يحي ابن تميم من بعده بغارات متواصلة على جزيرة صقلية وعلى السواحل الإيطالية[26].

إلا أن القوى الإيطالية بالإضافة إلى قوة النورمان في صقلية سرعان ما ردت على تلك الغارات ، حيث وصلت القوة البحرية للجمهوريات الإيطالية لاسيما بيزا وجنوة إلى درجة كبيرة من القوة ، فقامت بالرد على الهجوم الزيري، ويرى ارشيبالد أنه من الخطأ أن ننظر للنشاط البحري لتلك الجمهوريات على أنه قائم على أساس حماية التجارة من غارات المسلمين، على الرغم من أن هذه النتيجة التي انتهت إليها قواتهما البحرية بالفعل والحقيقة أنهما لم تتحركا لأسباب دفاعية صرفة. ففي أول الأمر رغب هؤلاء فقط في التخلص من المسلمين الذين يغيرون على سواحلهم. ولكن ما لبثت ان تحولت تلك الغارات إلى مطامع في المزيد من الغنائم ، ولهذا أخذوا يحترفون القرصنة ونهب التجارة الإسلامية ومدن المسلمين الساحلية، وأصبحت مغانم القرصنة لا التجارة هي الدافع الرئيس لتحرك أساطيل تلك المدن[27]. ويبدو ان انتشار الفوضى والانقسام السياسي

الذي أصاب منقطة إفريقية بما فيها طرابلس ، بالإضافة إلى غياب حكومة مركزية نافذة قد زاد من حدة عمليات القرصنة التي انتهجها المسيحيون وتجرئهم على نهب وسلب السواحل.

وفي عام 1087م عندما استولى الجنويون والبيازنة على مدينة المهدية، تم الاتفاق مع تميم بن المعز مقابل الجلاء عنها على وعد بعدم التعرض لسفنهم في مياه البحر المتوسط الإفريقية، ويقال أنهم عند إقلاعهم عن المهدية قد عادوا إلى بلادهم وسفنهم قد غصت بالغنائم والمنهوبات[28].

وفي ظل ذلك الجو المشحون بالاضطراب الأمني جاءت أساطيل صقلية وشنت حربا صليبية على المغرب الأدنى، وتمكنت في عام 541هـ / 1146م من السيطرة على طرابلس، ثم استولوا على سوسة والمهدية وصفاقس[29]، وغيرها من المدن. والذي يهمنا في هذا المضمار هو معرفة مدى استمرار تلك الغارات التي احترفت السلب والنهب على الساحل الشمال الافريقي بشكل عام والساحل الليبي بشكل خاص، يرى بعض الباحثين أن الأوضاع الاقتصادية في إفريقية وطرابلس قد تدهورت بسبب العبث الذي ألحقه النورمان بسواحل المنطقة، مما جعل الأهالي يلتزمون مدنهم أو ينتقلون إلى الدواخل[30]. ولا شك أن هذا يعكس استمرار عمليات القرصنة التي احترفها المسيحيون ضد المسلمين في المنطقة ، على الرغم من استمرار التجارة بين الطرفين ، حيث أن رجار الثاني حاكم صقلية كان يرى أن في احتلال مدن ساحل إفريقية أحد الحلول لمشكلات صقلية الاقتصادية ، لأن مدن إفريقية بما فيها طرابلس تعتمد على صقلية في استيراد القمح في بعض السنوات .بالإضافة إلى ان ذهب إفريقية دعم النقد في صقلية.

وفي ظل هذا الاضطراب الذي شهده المغرب الأدنى، جاء التدخل الموحدي وتم تحرير إفريقية، من الهيمنة النورمانية وبالنسبة لمدينة طرابلس فقد استسلمت للخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي، حيث وصل منها وفد برئاسة أبي يحي بن مطروح، وقدموا طاعتهم للخليفة

الموحدي فقبلها منهم وأمر ابن مطروح واليا على طرابلس[31]. ولقد تحسن الوضع في إفريقية بشكل عام بعد دخولها تحت سلطة الموحدين بالمقارنة مع ما كانت عليه، فانتعشت الحياة الاقتصادية إلى حد كبير، وتؤكد السجلات البحرية التاريخية بأوروبا عن القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، تفوق المغاربة على غيرهم في بناء دور الصناعة وسائر أنواع المراكب المقاتلة، هذه القوة البحرية التي جعلت الموحدين يساهمون في حماية التجارة بالبحر المتوسط من تحرشات القراصنة المسيحيين[32].

وقد ارتبطت العلاقات التجارية بين الموحدين في ساحل الشمال الإفريقي، وبين الدول المسيحية لاسيما الجمهوريات الإيطالية في الساحل الشمالي للبحر المتوسط ،بسلسلة من المعاهدات التجارية بين الطرفين ، وعلى الرغم من ارتباط العلاقات التجارية مع الأحداث السياسية فقد تطورت العلاقات التجارية طبقا لمسار معين ، وفي شيء من الاستقلال الذاتي، وبأفضلية حتى على التفاهم السياسي نفسه[33].

ويروي (سلفاتوري بونو)[34] خبرا حول علاقات تاجر طرابلسي يدعى (أبو يحيى) ومراسله في جنوة (اميكوز وسترو) تسلم هذا الأخير مبلغا من المال وكان عليه أن يحوله إلى شقيق أو ابن يحيى الموجود بصقلية لدواعي العمل، إلا أن قيام بعض الصعوبات حالت دون تسليم المال فأرسل التاجر الجنوي لتسديد المبلغ ستة قناطير من النحاس (= 650 كيلو غرام) لدفع ثمنها إلى الطرابلسي وكان ذلك عام 1166م . ومن العوامل التي ساعدت على قيام تلك العلاقات التجارية هو اهتمام الموحدين بالبحرية، وتزايد أهمية الأسطول الموحدي في حوض المتوسط، وبالمقابل فقد حدث توسع كبير للمراكز البحرية الإيطالية ارتباطا مع حركة الحروب الصليبية، وربما كان هذا الوضع الذي جعل النصارى يتجرأون أحيانا على قرصنة المراكب التجارية الموحدية في المياه الإقليمية خارقين بنود المعاهدات ، ومن ذلك أن عبد الرحمن بن أبي

طاهر الناظر بديوان إفريقية أرسل رسالة إلى حكام بيزا وأشياخها وأكابرها بتاريخ ذي القعدة سنة 596هـ / 1200م يقول فيها إن سفينتين تابعتين لبيزا دخلتا مرسى تونس حيث هاجمتا ثلاثة مراكب للمسلمين، ونهبوا ما بالسفن الإسلامية من أموال وأثاث وبضائع ، ثم انصرفوا بعد أن قتلوا جماعة من المسلمين وجرحوا كثيرين آخرين [35] وهذا العمل القرصني أوجب اتخاذ بعض الإجراءات الأمنية ،وجرى ما نسميه اليوم بتبادل المذكرات بين الموحدين وبين حكام بيزا التي احتوت على ضمانات من حاكم إفريقية الموحدي إلى التجار البيزيين بإعطائهم الأمان في إفريقية برها وبحرها.

والجدير بالذكر أن تلك المضايقات لم تقتصر على التجار المسلمين ، بل تعرض التجار البيزيون أيضا لصنوف منها ، وكانت حكومة الجمهورية ترسل للسلطان الموحدي عقب كل شكوى تتلقاها من رعاياها خطابا تطالب فيه بإنصافهم ورفع أسباب الشكوى عنهم . فيروي لنا أماري أن حكومة بيزا كتبت خطابا إلى السلطان الموحدي عن جماعة من التجار البيزيين ، قد شحنوا مركبا من صقلية وخرجوا بها في طريقهم إلى مدينة طرابلس الغرب ، وقبل الوصول إليها أحوجهم الماء فاضطروا إلى النزول في مكان قريب منها للنزول به، وفجأة وصلت إلى هذا المكان سفينة قادمة من طرابلس فألقت القبض عليهم، واستولت على جميع ما معهم من مال وقمح، واقتادتهم إلى المدينة حيث زج بهم في غياهب السجون [36] .

ويبدو أن التوتر السياسي الذي تعرضت له طرابلس بعد زحف المغامرين الأغزاز من جهة مصر بقيادة قراقوش التقوي ، وتحالفهم مع قبائل العرب السليمية، بالإضافة إلى بني غانية حكام جزر البليار الأندلسية، وتمكنهم من السيطرة على طرابلس [37] كان لكل ذلك أثر كبير في حدوث تلك المضايقات للتجار الأجانب على الساحل الليبي، إذ ليس من المستبعد أن يكون قراقوش التقوي أو نائب عنه قد أقدم على هذا العمل القرصني من نهب وسلب ذلك المركب

البحري التابع لجمهورية بيزا، خاصة أنهم بحاجة لمادة غذائية كالقمح يتزود بها جماعته وهو يتوغل في الصحراء[38].

وبعد قيام الدولة الحفصية في تونس أصبح أقيم طرابلس ضمن التشكيل السياسي الحفصي، واستمرت العلاقات التجارية مع القوى البحرية النصرانية في مجال المتوسط. فالدولة الحفصية كانت تضم أهم المراكز التجارية والبحرية في شمال إفريقية ، لذلك فقد حرصت القوى النصرانية في الضفة الشمالية المقابلة ولا سيما الجمهوريات الإيطالية – وبشدة– على تجديد وعقد معاهدات سلم وتجارة مع أمراء الدولة الحفصية في مختلف المدن بما فيها طرابلس ، حتى يتمكنوا من الاحتفاظ بامتيازاتهم التي منحت لهم في تلك المدن الساحلية[39].

ولسنا هنا في مضمار عرض أو تفصيل تلك المعاهدات[40] وإنما فقط لنستنتج أنها كانت بمثابة ضمانات دولية موثقة لحفظ الحقوق وحماية التجار ضد تلك الاعتداءات المتكررة والمتاعب والمضايقات التي يتعرض لها التجار والسفن التجارية في حوض المتوسط، والتي تدخل تحت تصنيف القرصنة البحرية، إذ إن القرصنة دائما كانت باطلة قانونا ودوليا لدى كل من المسيحيين والمسلمين ، فكانت الشكاوى الدائمة عند الحكومات والمحاكم مستمرة ، حيث اهتمت المعاهدات بمدى خطورة القرصنة، التي كانت بمثابة كارثة حقيقية لذلك فإن ضرورة مواجهة متخصصي القرصنة بإجراءات شديدة للغاية كان امراً ضرورياً [41].

ومع كل تلك التدابير التي اتخذتها السلطات السياسية الحاكمة على ساحل المتوسط ، لحفظ أمن البحر المتوسط والتجارة العابرة، وتأمين التجار، فإن غارات القراصنة ظلت مستمرة . إذ أن التطور الذي شهدته القرصنة على ساحل البحر المتوسط خلال القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي لم يسبق له مثيل خاصة على أيدي الأراغونيين الذين دخلوا عالم السباق البحري بقوة بعد تمكنهم من السيطرة على أغلب جزر غرب ووسط البحر المتوسط ، مثل جزر

البليار وصقلية، بالإضافة إلى جزيرة جربة[42] ولا شك أن هذا الوضع قد سمح لها بتفوق بحري كبير في المجال المتوسطي ، خاصة بعد ان لاقت اعمال القراصنة تشجيعا واضحا من قبل الملوك الأرغونيين[*]، الذين قدموا تسهيلات للقراصنة سمحت لهم بتسليح السفن بغرض القرصنة والحصول على أكبر قدر من الغنائم ، وأصبح الملك الأرغوني شريكا لأولئك القراصنة، وكانت السواحل الحفصية هدفا لغارات القراصنة الأرغونيين خاصة على يد القرصان المشهور (روجي دو لوريا) الذي كان يقوم بالإغارة بصفة مستمرة على مدن وقرى وسواحل الدولة الحفصية[43].

وقد لا يسعنا المقام هنا ، لاستعراض تفاصيل تلك الغارات التي قام بها القراصنة على سواحل المدن الحفصية. وما يهمنا هو الساحل الليبي، إذ ورد أنه في عام 704هـ، قد هاجمت سفينتان من برشلونة بقيادة قرصان يدعى (جاقمة دبروصة طريدة للمسلمين قرب طرابلس، ثم باعوا حمولتها في صقلية[44].

وفي عام 706هـ استولى غرابان من بلنسية على ثمانية قوارب ، ثلاثة منها للصفاقسيين والخمسة الباقين للطرابلسيين، كان فيها مقدار ثلاثين ألف دينار بين سلع ومال، ونحو ستين شخصا من المسلمين[45].

ولم تنقطع القرصنة الإيطالية أيضا على مدن وسواحل المغرب الأدنى بصفة عامة، واستمرت باستمرار العلاقات التجارية بين الطرفين، ويبدو أن التجار الجنويين الذين كانوا يترددون على مدينة طرابلس وخاصة الذين لهم سوابق في مجال القرصنة ، هؤلاء الذين أبهرتهم الحالة الاقتصادية للبلاد فقرروا الغدر بها، وأخذوا يتحينون لها الفرص حتى كان عام 755هـ /1354م وهو العام الذي فشل فيه الأميرال الجنوي فيليب دوريا في الهجوم على سردينيا، فاتجه تفكيره إلى الهجوم على طرابلس ورأى فيها فرصة مواتية لما يعلمه هو ورفاقه عن وسائلها الدفاعية وازدهارها النسبي ،وانقض على المدينة غدرا وهو يقود أسطولا من خمس عشر سفينة

حربية ، وسرعان ما تمكن عن طريق المباغتة من الاستيلاء عليها، وإخضاعها لعملية نهب منظمة ومثمرة . ولم يتمكن حاكمها ابن ثابت من الصمود ولاذ بالفرار، وملك الأعداء القراصنة البلد واستولوا على ما فيها من متاع وأموال، وأسروا الرجال والنساء ونقلوا غنائمهم إلى جنوا حتى الأسرى[46].

القرصنة الإسلامية بين المصالح الاقتصادية وشرعية الجهاد:

لقد عكرت تلك الغارات المتكررة العلاقات بين الجانبين أي الجانب المسيحي والجانب المسلم ، وفي ظل هذه الأوضاع بات من الصعب الالتزام بتطبيق المعاهدات المنعقدة بين الدول الأوربية وبين المسلمين. ويبدو أن المسلمين في شمال إفريقية عامة قد فهموا ان سواحلهم كانت دائما مستهدفة من قبل الأوربيين ، فبحثوا عن وسائل تفرض وجودهم في الحوض الغربي للمتوسط وتحد من نشاط النصارى . لذلك قام بعض البحارة الحفصيين بشن غارات على سواحل أوربا في البحر المتوسط لأنهم نظروا إلى القرصنة كعامل قوة لابد من تبنيه ، خاصة وأن القرصنة الأوربية كانت بدورها نشيطة، فالمواجهة بالمثل إذن كانت ضرورية.

ومن الأمثلة المهمة على نشاط القرصنة الحفصية بشكل عام ضد أراغون ،ما قام به بعض من تجار إفريقية من سلب ونهب لبضائع تاجر برشلوني قصرا. كذلك هاجم بعض الأفراد من بجاية الحفصية تاجرا برشلونيا يدعى (بيرو نجير تريبون) وسلبوا منه بضائعه[47]، بالإضافة إلى الغارة القوية والمباغتة التي قام بها قراصنة إفريقية على قرية " توريبلكنا " الواقعة في مملكة بلنسية وأسروا نحو مئة رجل وامرأة من سكان القرية حملوهم معهم، ثم دخلوا الكنيسة وأخذوا منها حقة القربان مع جميع أدواتها [48].

ويبدو أن الحملة الفرنسية الجنوية ضد مدينة المهدية سنة 792هـ /1390م كانت منعرجا خطيرا في تاريخ القرصنة الإسلامية بشكل عام ضد النصارى. ويؤكد العلامة ابن خلدون

[49] تفوق القرصنة الحفصية على القرصنة الأوربية عند حديثه عن منازلة نصارى الإفرنج المهدية : "... ثم فشل ريح الفرنجة واختل مركز دولتهم بإفرنسة، وافترقت طوائف أهل برشلونة وجنوة والبنادقة ، وغيرهم من أمم الفرنجة النصرانية ، وأصبحوا دولا متعددة ، فتنبهت عزائم كثير من المسلمين بسواحل إفريقية لغزو بلادهم ، وشرع في ذلك أهل بجاية منذ ثلاثين، فيجمع النفراء والطائفة من غزاة البحر، ويصنعون الأسطول ويتخيرون له الأبطال الرجال، ثم يركبونه إلى سواحل الفرنجة وجزائرهم على حين غفلة، فيتخطفون منها ما قدروا عليه، ويصادمون ما يلقون من أساطيل الكفرة، فيظفرون بها غالبا ويعودون بالغنائم والسبي والأسرى، حتى امتلأت سواحل الثغور الغربية من بجاية بأسراهم"، وأكد الوزان على ارتفاع مداخيل القراصنة في بجاية ، حتى أنه ربط ثرائهم بها قائلا : "البجائيون أغنياء فهم يسلحون العديد من المراكب التي يرسلونها إلى سواحل إسبانيا"[50].

ويرى بعض الباحثين أن غارات الحفصيين بشكل عام في هذه الفترة . بداية القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، كانت في غالبيتها ، أقرب إلى ردود أفعال منها إلى غارات بغرض القرصنة في حد ذاتها ، ويرى أيضا أن غارات القراصنة المسيحيين لم تكن موجهة ضد أهداف إسلامية فقط وإنما ضد أي هدف يقع في طريقهم. على عكس القراصنة المسلمين الذين لم يعتدوا على أهداف اسلامية[51]، وهذا الاعتقاد يسوقنا إلى ان نتساءل، هل القرصنة الإسلامية اتخذت صفة الجهاد؟، وهل السلطة الإسلامية الحاكمة قامت بتوظيف استراتيجي للقرصنة كعامل من عوامل إثبات الوجود الإسلامي؟.

إن القوى الإسلامية الحاكمة للشمال الإفريقي بما فيها ليبيا في تلك الفترة لم تنف العامل الديني، وقامت بتوظيف القرصنة . بغض النظر عن المسمى المتداول باسم شرعية الجهاد لإثبات وجودها والحفاظ على توازنها مع القوى الأوربية في البحر المتوسط . فاضطر المسلمون إلى أن

يتعاملوا مع الأمر الواقع بما يقتضيه، وذلك لخلق نوع من التوازن في البحر المتوسط بينهم وبين الأوربيين الذين نشطت عندهم القرصنة. لأنه في ظل غياب قرصنة إسلامية يمكن أن تضعف مكانتهم في تجارة البحر المتوسط لتفسح المجال للسيطرة الأوربية المطلقة [52].

وعلى الرغم من ذلك كله فإننا نؤكد أن القرصنة من قبل الجانبين المسلم والمسيحي كانت قد ضربت في كثير من الأحيان مصالح الطرفين، نظرا للخسائر المادية والبشرية، وفقدان الأمن في البحر المتوسط بالنسبة لممارسة أعمالهم التجارية المشروعة، فانعكست القرصنة سلبا على التجارة.

ومع ذلك فقد لعبت المصالح الاقتصادية دورا مهما وتفوقت في كثير من الأحيان ،لما يحققه القراصنة من مكاسب مادية متنوعة ، فنجد الدول الأوربية تحرص على استمرار العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع الحكام المسلمين في إفريقية بما فيها طرابلس ، وتشهد على ذلك الاتفاقيات والمعاهدات التي كانت متشابهة في خطوطها العامة على الأقل ، والتي تنص على ضمان الأمن المتبادل للملاحة ، وتحدد مبادئ تعاطي التجارة واستقرار النصارى في بلاد المسلمين [53]، وغيرها من البنود التي تكفل سلامة التجارة .

الخاتمة :

من خلال ما تقدم يتضح لنا :

- أن اختلاف مفهوم القرصنة ودلالاتها ، بين اللصوصية والسلب والنهب ، والغزو البحري والجهاد البحري إنما كان في الغالب توظيف لمآرب اقتصادية وسياسية تبنتها القوى القاطنة على ضفتي البحر المتوسط شمالا وجنوبا .
- إن القرصنة الإسلامية على الساحل الليبي وبقية مدن إفريقية كانت في غالبيتها ردود أفعال وواقع لابد من تبنيه للوقوف الند بالند ضد القوى المسيحية المناهضة .

- أكدت الدراسة أهمية العوامل الجغرافية والسياسية والاقتصادية ، في تبادل أدوار القرصنة بين المسلمين والمسيحيين .
- إن الارتباط التاريخي والسياسي لمدن ليبيا الساحلية في فترة العصور الوسطى بالدول المجاورة. جعل موضوع الحكم على تحرشات القراصنة المسيحيين تخضع في بعض الأحيان إلى عامل الإسقاط والتوظيف، على الرغم من وجود اشارات واضحة في بعض المصادر لحدوث قرصنة فعلية على الساحل الليبي – تمت الإشارة إليها في صفحات البحث – وقد يعود السبب في ذلك إلى تركيز المراسلات والمعاهدات التي وردت في المصادر والوثائق التاريخية، والتي ناقشت وتضمنت موضوع القرصنة ، على السلطة الحاكمة في عاصمة الدولة .
- أكدت الدراسة تصاعد ونشاط القرصنة في إطار استراتيجي دفاعي وهجومي، وإطار انتفاعي مادي، حتى أنها طبعت المفاوضات، ولم تخل المعاهدات التجارية والرسائل الرسمية من مناقشة أعمال القراصنة والحد من نشاطهم حفاظا على المصالح الاقتصادية، واستمرار العلاقات بين الطرفين.
- على الرغم من زعزعة أمن البحر المتوسط بفعل أعمال القرصنة، إلا أن استمرار الحركة التجارية والتبادل التجاري بين الجانبين الأوروبي والمسلم ،وتحمل كلا الطرفين ردود الفعل والأضرار اللاحقة بهم ، كل ذلك يؤكد تفوق المصالح الاقتصادية .

الهوامش :

(1)DE Mas Latrie ,Relations Des Chretens ,Avec les arabes dela frique se ptentrionale , Paris , 1866,P94-95

(2) محمد عبد العزيز سعد اليمني ، القرصنة البحرية (دراسة فقهية مقارنة) ، المجلة العربية للدراسات ، المجلد 28، العدد 55 ، 2012م ، ص210

(3) عبد الناصر جبار، بنو حفص والقوى الصليبية في غرب البحر المتوسط خلال القرنين 8-9هـ/14-15م ، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة القاهرة،1990م، ص99 .

(4) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6 ،مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، 1979م ، ص399 . الغبريني ،عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، دار الآفاق ، بيروت ، 1979م، ص45.

(5) عبد الناصر جبار ، مرجع سابق ، ص100 .

(6) سعيد عبد الفتاح عاشور ، بعض الأضواء عى العلاقات بين بيزا وتونس في عصر الحروب الصليبية ، مجلة بحوث الشرق الأوسط ،1922م ،ص33.

(7) مصطفى عبد الخالق ، علاقة القوى الصليبية في غرب البحر المتوسط بالمغرب الإسلامي في القرنين السادس والسابع الهجري ،رسالة دكتوراة ،جامعة القاهرة ، 1987م ،ص 250.

(8) محمود ناجي ، تاريخ طرابلس الغرب ، ترجمة:عبد السلام أدهم و محمد الأسطى ، دار الفرجاني ،طرابلس ، 1995، ص 73 . مريم جبودة ، التجارة في إفريقية وطرابلس الغرب خلال العصرين الموحدي والحفصي ، منشورات جامعة الزاوية ، 2013م ، ص 110.

(9) ابن حوقل ،صورة الأرض ،مكتبة دار الحياة ، بيروت، بدون تاريخ ، ص69-72.

(10) مؤلف مجهول ،الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشئون الثقافية ، بغداد ،1986م ، ص110.

(11) معجم البلدان ،ج4 ، دار صادر ، بيروت ، 1957م ،25-26.

(12)اليعقوبي ،البلدان ، ج1 ،مطبعة بريل ، ليدن ، 1893م ، ص44.

(13) البكري ،المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ،مكتبة المثنى ، بغداد، 1857م ، ص5.

(14) عبد الناصر جبار ، مرجع سابق ،ص104. مصطفى عبد الخالق ، مرجع سابق ، ص250.

(15) البكري ، مصدر سابق ، ص36.

(16) المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب،دار الثقافة ، بيروت ، 1983م ، ص347-348.

(17) فوزية محمد عبد الحميد نوح ،البحرية الإسلامية في بلاد المغرب في عصر الأغالبة ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ،1985م ،ص291.

(18)ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،1987م ،حوادث سنة 228هـ .

(19) موريس لومبار،الإسلام في مجده الأول ، ترجمه : اسماعيل العربي ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، المغرب ، 1990م ، ص96.

(20) المالكي ، رياض النفوس ، ج1 ، تح: بشير البكوش ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ص17.

(21) العياشي ، الرحلة ، ج1، دار السويدي للنشر ، الإمارات ، أبوظبي ،2005م ،ص135.

(22) ابن خلدون ، المقدمة ، ص450-451.

(23) صالح مصطفى مفتاح ،ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، الشركة العامة للنشروالتوزيع ،ليبيا ،1978م ، ص228-229.

(24) لويس أرشيبالد ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ،تح: أحمد محمد عيسى , مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،بدون سنة نشر ، ص312.

(25) أرشيبالد ، المرجع نفسه ، ص315.

(26) سعيد عاشور ، مرجع سابق ،ص35.

(27) أرشيبالد ، مرجع سابق ، ص315

(28) سعيد عاشور ، مرجع سابق ، 36.

(29) ابن خلدون ، العبر ،ج6 ، ص168 .ابن الأثير ، الكامل ،ج11 ، ص108 _128.

(30) أمين توفيق الطيبي ، دراسات في تاريخ صقلية (دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس)، الدار العربية للكتاب 1997م ،ص78.

(31) أحمد الناصري ، الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى ، تح :جعفر الناصري ومحمد الناصري ،ج2 ،دار الكتاب ، الدار البيضاء ،1954م ،ص37.

(32) أحمد عزاوي ، رسائل موحدية ،ج2 ،كلية الآداب والعلوم ،القنيطرة ،2001م ،ص84.

(33) سلفاتوري بونو ،العلاقات التجارية بين بلاد المغرب وايطاليا في العصور الوسطى ،ترجمة: عمر الباروني ،مجلة البحوث التاريخية ،العدد الثاني ،1986م ،ص309.

(34) سلفاتوري بونو ،المرجع نفسه ،ص317.

(35) Michael Amari ,Idiplomi Arabi Del R. Archivio Fiorentinno, Fitenze , 1863, P..29-30

(36)Michael Amari,P.7-9

(37) التجاني ، رحلة التجاني ،الدار العربية للكتاب ،1981م ،ص 114.

(38) أحمد عزاوي ، رسائل موحدية ، ج2 ،ص 90.

(39) سامي سلطان سعد ، أسس العلاقات الاقتصادية بين اشرق الأدنى والجمهوريات الإيطالية ،رسالة ماجستير ،جامعة القاهرة ،1958م ، ص145.

(40) أنظر :De Mas Latrie,ibid

احمد عزاوي,رسائل موحدية,ج1.

(41) Demas Latrie,ibid,P94.

(42) برنشفيك ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي ، ترجمه: حمادي الساحلي ،ج1 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1988م ،ص123-124.

(*) حيث أصدر الملك الارغوني الفونس اثاني قرارين سنة 1288م يتعلقان بالقرصنة، وقد نص هذان القراران على ان القرصنة تدخل ضمن نشاط المؤسسة الحرة . راجع : عبد الناصر جبار ، مرجع سابق ، ص115 .

(43) برنشفيك ، مرجع سابق ،ج1 ، ص129.

(44) عبد الناصر جبار ، مرجع سابق ، ص120.

(45) جبار، نفس المرجع اعلاه ، ص123.

(46) برنشفيك ، مرجع سابق ،ج1، ص203.

(47) صالح بعيزيق ،بجاية في العهد الحفصي ،ج2، جامعة تونس الأولى ،1995م ،ص293.

(48) برنشفيك ،مرجع سابق ، ج1، ص251.

(49) ابن خلدون ، العبر ،ج6 ، ص399.

(50) الوزان ، وصف افريقيا ،تعريب : محمد حجي ومحمد الأخضر ،ج2 ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1983م ،ص50.

(51) عبد الناصر جبار ،مرجع سابق ، ص130.

(52)مريم جبودة ، مرجع سابق ، ص80-81.

(53) برنشفيك ، مرجع سابق ،ج1 ، ص56.